

بُكَاءٌ

قصة بقلم عبد الغفار مكاوي

انك عاطفي اكثر من اللازم ؟ . وماذا لاحظت ايضا ؟ لا بد انني اصحو بميعاد وعمل بميعاد وانام بميعاد ؟ وماذا كنت تنتظر غير هذا ؟ الم تسمع عن الفيلسوف كانت ؟ يقولون ان الناس كانوا يضبطون ساعاتهم عليه . دائما في الساعة الرابعة يخرج من بيته ليتمشى في الغابة . رجل عظيم . بالطبع . وان كنت لم افهم منه حرفا . اقول لك الحقيقة بل لم احاول . نظام مزعج . ولكنه مفيد في بعض الاحيان . على الاقل ينسي الانسان عذابه . نستطيع ايضا ان نقول انه نوع من التعذيب ينسى به الانسان عذابا اكبر . معذرة . انا لا افلسف ولا عمري ذقت طعم الفلسفة . انما العرق دساس كما يقولون . على فكرة . نسيت ان اقول لك : جاء لك خطاب امس . نعم انا التي تسلمته من الموزع . هل نصرفت في طابع البريد ؟ ارجوك ان تحافظ عليه دائما . تقول في درج المكتب ؟ شيء بديع . ابو الهول نفسه . لا بد انه شيء ساحر . الصحراء والصمت واللانهاية . لا بد انه شيء ساحر . خصوصا في ضوء القمر . هل كنت تذهب الى هناك ايضا ؟ ليس وحدك بالطبع . لا ! يا للخسارة ! نقول ربما قدر لي ان ازوره انا ايضا ؟ اه ! فات الاوان . انت لا تعرف انني تجاوزت الستين . لا يبدو علي ؟ الحمد لله على كل حال . انا لا اطمع في اكثر من هذا . على فكرة : هل رأيت جارتك في الحجرة المقابلة . لا . اطمن . انها ليست هنا . اردت فقط ان احذرك منها . نعم . تلك التي تسمي نفسها مدام شميت . ستعرفها من الانجيل الذي تحمله دائما في يدها . تقول انها تقيية ؟ يظهر انك حسن النية . وماذا يفعل القسيس الشاب الذي يحضر اليها كل احد ؟ الم تره اليوم ؟ اقول لك كل احد . وربما كل يوم . من يدري ؟ ثم انني مشغولة بدروسي وتلاميذي . انا شخصيا لا اطيع رجال الدين . لا تتصور انني انكر وجود الله . بالعكس . انني اذكره على الاقل مرة كل اول شهر . عندما يخصمون مني ضرائب الكنيسة . لكن استقلال الدين لاشياء اخرى . انت تفهم قصدي بالطبع . ثم مساذا يفعلان طول الليل ؟ يلعبان الورق او يقرآن الانجيل ؟ انا لا امانع في الزيارة كما قلت لك . يمكنك انت ايضا ان تأتي بصديقتك . بالطبع لغاية الساعة العاشرة فقط . نقول ليس لك صاحبة ؟ هذا شيء محزن . لا يمكنك بالطبع ان تعيش وحدك طول العمر . لا يمكنك ابدا . الا يقول الانجيل ليس حسنا ان يكون ادم وحده ؟؟ لا بد ان هذا ايضا موجود في انجيلكم . تقول ليس عندكم انجيل ؟ تسمونه القرآن ؟ لا بد ان شيئا كهذا موجود فيه . وليس حسنا ان تكون حواء وحدها . ليس حسنا بالمره . اقول لك هذا بمنتهى الاخلاص . ربما لانك تخطيء في بعض الاحيان وتناديني بالمدام . لست مدام . انا ما زلت انسة . نعم في الستين وما زلت انسة . اف ! ها انا اعود مرة اخرى الى حكايتي القديمة . ان كان هذا لا يضايقك فسوف ارويها لك . نقول لا تضايقتك بالرغم من البرد والصداع ورغبتك في قراءة جوته ؟

اذن فذنبك على جنبك . هل تستطيع ان اجلس هنا لحظة . الحجرة اصبحت نظيفة على كل حال . هل قلت لك ليس حسنا ان يكون ادم وحده ؟ نعم نعم . وليس حسنا ان تكون حواء وحدها . انا بالطبع لم اكن وحدي دائما . كان لي مثل كل الناس اهل واصدقاء وحييب ايضا ان شئت . هل قلت كان لي حبيب ؟ انا ابالغ بالطبع بعض الشيء . الحقيقة انه هو الذي كان يحييني . حب من طرف

اوه ! معذرة . طرقت على الباب طرفتين فلم يرد احد . قلت لا شك انه خرج مبكرا . ليستسلق الجبل او يمشي في الغابة او يتزحلق على الشايج . ولكن ها انت ما تزال في الفراش . هل نسيت ان اليوم هو الاحد ؟ ام يا ترى لم يحضر فاموسك ذو ذيل الحصان ؟ تقول انك لا تفهم ؟ اه ! هذا شيء محزن . لا بد انك ستفهم يوما . لفتنا الصعبة . اليس كذلك؟ كثيرا ما سألت نفسي كيف يستطيع امثالكم ان يتكلموها . ارجوك ان تفهمني . لست اشعر بالطبع بأي تعصب ضدكم . نحن جميعا بشر . وانتم كذلك ايضا . هل تسمح لي بان اقدم لك مجاملة ؟ ان نطقك رائع . صحيح مائة في المائة . لسولا شعرك الاكتر وبشرك السمراء وعينك السوداء وان لفتت انك واحد منا . معجزة . هذه معجزة . هل تسمح بالتهوض لحظة واحدة ؟ لا لحظة واحدة فحسب . بمجزة ان ارتب السرير يمكنك ان تعود للنوم . ماذا تقرا ؟ قصيدة لجوته ؟ عظيم ! عظيم ! سمعت بالطبع انه اعظم شعرائنا . كل انسان هنا يذكر اسمه . يحتفظ بمؤلفاته في مكتبته . ولكن صدقني : ما اقل الذين يقرأونه ! ما اقل من يفهمونه ! هؤلاء المنافقون . لو انهم عرفوه حقا ما حدث ما حدث . ما علينا . لا تؤاخذني . هل اثرثر كثيرا ؟ لا ؟ هل انت متأكد . ولكن لونك متغير قليلا . تقول انها الانفلونزا ؟ هل احضر لك قرص اسبرين ؟ تقول اخذت خمسة ؟ لا . اسمح لي . هذا كثير . كثير جدا . لو كنت مثلي تمارس اليوجا لما بلغت قرصا واحدا في حياتك . نعم اليوجا . هل تضحك ؟ لك حق . وماذا تفعل اذن لو رايتني كل يوم واقفة على رأسي وسافاي في السماء . امام البيانو . لا تصدق ؟ ولكنني لا استطيع ان اجرب هذا امامك . ثم ان سافاي ليستا مما يحسن رؤيته . اشكرك . بعد هذه السن . الغرض . يمكنك ان تعود الى الفراش . ولكن دعك الان من جوته . شعر ؟ مع هذا البرد ؟ يظهر انك عاطفي جدا . لو كنت مكانك لقرأت شيئا اخر . مثل ماذا ؟ عندك الرحلات . شاب في سنك لا بد ان يسافر ويسرى الدنيا . مرة في الجنوب ومرة في الشمال . ام هل تظن انك ستعرف الدنيا وانت جالس في حجرتك . ارجوك . لا تظن انني اطردك . يمكنك ان تفعل ما تشاء . ثم ان الناس طباعها مختلفة . ولكل بلد عاداتها . انا ايضا كان ينبغي ان اكون اليوم في الجبل او اتزحلق على البحيرة ؟ تقول كيف ؟ الم ترها في الشتاء . لا . انت مقصر جدا . صحيح انك هنا من شهر واحد . ولكن لو كنت مكانك كنت تفرحت على كل شيء . يظهر انك تحب البيت . ستكون زوجا ناجحا . نعم نعم . انا لا اضحك ابدا . ستكون زوجا ناجحا . على فكرة . لم اسألك عن جو الحجرة . هل يعجبك ؟ صحيح ؟ منذ ان حضرت في اول الشهر وانا لا اجد فرصة للكلام معك . ربما تجدني لهذا السبب اثرثر كثيرا . ارجوك ان تعذرني . لست دائما هكذا . انت تضحك ؟ يظهر انك لا تصدق ابدا . وبخاصة السيدات . ها ها ! لا بد انك لاحظت انني مشغولة جدا . من الساعة صباحا حتى التاسعة في المساء . ارجو الا يكون صوت البيانو قد ازعجك . ماذا افعل ؟ اكل العيش كما يقولون . حذار ان تظن ان العزف السيء مني ! انهم الاطفال الصغار . نعم . من الخامسة الى الخامسة والعشرين . مدرسة حقيقية . انا فيها المعلمة والناظرة والمفتشة والفراشة والتلميذة ايضا . تقول ان العزف يعجبك كثيرا ؟ هذا شيء يسعدني . يظهر انك تحب البيانو . الم اقل لك

لماذا لا يسعد الانسان بانسان قريب منه ؟ ما الذي يشل يده فلا يمتد الى الثمرة التي ندعوه لان يقطعها ؟ اي شيء في الوجود يجعل الافوياء اقوياء والضعاف ضعافا ؟ اليس ان هؤلاء يتكون الفرصة تفلت من ايديهم بينما يتشبث بها اولئك ؟ نقول القدر ؟ وهل القدر الا ان تفعل الشيء المناسب في الوقت المناسب ؟ ان تلتقط اللحظة المؤاتية من نهر الزمن فتمسك بها ونعانقها ونقبلها قبل ان تنوب في الماء ؟ كان الاغريق يسمون الفرصة « توخي » . بالطبع ليس الاغريق مجهولين لك ؟ هل نقول ان العرب ايضا نقلوا ترانيمهم الينا ؟ انت اكايمي وادري مني . كانوا ، كما تعلم ، يصورون كل شيء بالاساطير . كل فكرة عندهم يقابلها مخلوق حي مجسم . هل تعلم كيف كانوا يصورون التوخي ؟! فتاة حسناء تنسكب خصلات شعرها على جبينها . نعم على جبينها . حتى يستطيع الانسان ان يتشبث بها ، ان يقبض على شعرها قبل ان تفلت منه . والويل لمن تفلت منه الفرصة ! والويل لي ايضا فقد فاننتي . ادارت ظهرها لي قبل ان امد يدي لاسمكها من خصلات شعرها . كنت احسب انها ستعود . لكنها لا تعود ابدا . لا تعود . تقول كيف ؟ جاءت الحرب كما تعلم وطلبوا هانز . هل قلت لك ان اسمه كان هانز ؟ حسن . استطيع اذن ان اكمل كلامي . الى هنا والفرصة لم تفت . كان يمكن ان امد يدي فامسك بخصلاتها الحريرية المغربية . ولو للحظات . لو كنت فعلت ما كان يهمني بعد ذلك ما يحدث . قال لي اخر مرة في المعهد : غدا اسافر يا كلارا . قلت : الى اين يا هانز ؟ قال وهو يمد يده يفتش عن يدي : ليس للزهة بالطبع . فهمت ما يعني ، فاطرقت وكنمت لشل الالام الذي يوشك ان ينفجر من عيني بعد ان طال انكاري له . قال بعد لحظة صمت : هل انتظر ان تكوني في وداعي؟ قلت في صوت تعمدت ان يكون جافا لكي لا يشي باضطرابي . ربما . اه يا سيدي ! لماذا نحاول ان نخفي ضعفنا امام احبابنا ؟ اليس لهم حق ايضا في دموعنا ؟ ذهب للمحطة . كانت تغلسي بافواج المسافرين . ما من شاب الا ومعه زوجته او عروسه او صديقه . وانا

واحد كما يقولون . بالطبع انا ايضا لم اكن اكرهه . بالعكس كنت اشعر بالرضا عندما اراه . لكنه العناد او الطموح او الانانية - سمها كما تشاء - هو الذي كان يعنني من ان احبه . ذلك الحب الحقيقي ، الصريح ، المتفاني . اه يا ربي ! لماذا تذكرني بهذا كله ؟ كان في مثل سنك تقريبا . هل اخطيء كثيرا اذا قلت حوالي الخامسة والعشرين . صامت ومتعب ومضفر الوجه دائما . تعارفنا في المعهد . معهد الموسيقى بالطبع . كنا معا في قسم البيانو . لم تكن وحدنا بطبيعة الحال . كان هناك طلبة اخرون . لا يقلون عن عشرين . وربما اكثر او اقل . اه يا ربي ! ما الذي يجعل الشبان ينسون شبابهم ؟ ما الذي يغمض عيونهم عن متعة الحلوة ، عن لحظاته السعيدة الفانية ؟ ما الذي يجعلهم يديرون له ظهورهم ، فتذكرون كل شيء الا شبابهم ؟ هل يعرفون وهم يفعلون هذا انهم سيشيخون في يوم من الايام ؟ ان شعرهم سيبيض ، وظهورهم ستتحني ، وعيونهم سيتخلى عنها النور ، وقلوبهم ستصبح كساعات الحائط القديمة ، التي لا تفعل شيئا سوى ان تردد زئير الزمن الاجوف؟ لا داعي للندم . اقول انني تجاهلته واعترف لك . بالطبع كنت اقبله، وناقش معه ، بل واحتد في النقاش الى الحد الذي اتمنى معه ان اصغفه او ابصق في وجهه او اشد شعره . وماذا افعل اذا كان يصير دائما على تمجيد بتهوفن فوق كل شيء ؟ هل تصدق انه كان يرفع هذا الجنون المشوه فوق باخ نفسه ؟! وانا التي كنت لا افسد احدا مثل باخ . صدقني يا سيدي . انه في الموسيقى هو الالف والياء ، المنبع والمصب ، الاول والاخر . تستطيع ان تتأكد من هذا اذا الفيت نظرة على حجرة البيانو . هناك ستري لوحة تقول لك هذا الكلام ، موضوعة تحت صورته التي يطالعك منها وجهه الهاديء المكتنز ، وعيناه الثابتتان وجهته الشامخة ، كانه هو بوذا الموسيقى في كل زمان ومكان . لكن هانز لم يكن يريد ان يفهم هذا . وعندما كنا نتقابل لم تكن نفعل شيئا سوى ان نتناقش او نعزف على البيانو او نتكلم عن مستقبل الموسيقى والانسانية .

في الاسواق

مَا بَعْدَ اللَّامِ مُتَّبِعِي

«فلسفة المُتَّبِعِل»

احد كتاب للمفكر العالمي

كولن ويلسون

مؤلف « اللامنتمي » و « ضياع في سوهو » يعود بهذا الكتاب الرائع الذي يشير الان ضجة كبيرة في اوساط النقاد والقراء ببريطانيا ، وفيه يعرض نظريته الجديدة في « فلسفة المستقبل » : الوجودية الجديدة . وقد ترجم الكتاب الى العربية الاستاذان يوسف شرورو وعمير بهق

منشورات دار الاداب

الثن ٤٥٠ ق . ل

وحيث استمدت الحرب في سنواتها الاخيرة واخذوا منا تلاميذ المدارس لم يبق امامي الا ان اعزف للمعجزة والمسلولين في البيوت او للجنود في المعسكرات . وحين دخل الحلفاء بلادنا كانت مهمتي ان اعزف للعساكر في البارات والقشلاقات . هل تتصور ان تساعد موسيقى باخ على السكر او تسلي مع الفجور ؟ ثم انني كنت انفع بشيء اخر . فاللغات التي يتعلمها الانسان لا بد ان يحتاجها ذات يوم . نعم . كنت اشتغل مترجمة لخطابات الحب - ان جازت هذه الكلمة - التي يرسلها الجنود الى بناتنا . وبالطبع كنت اكسب . على الاقل لم امت من الجوع . لماذا لم يلتفتوا الي ؟ وهل يطعم فيك احد اذا كنت تضع نفسك في صفيحة القمامة ؟! واين الفرصة التي تقدم نفسها اليك بعد الان ؟ لا انكر بالطبع ان الكثيرين ناموا معي ولا انني نمت مع الكثيرين . لكن «توخي» ذات الشعر الناعم المسدل على الجبين الناصع الشفاف . من اين تأتي ان ادارت ظهرها مرة واحدة ؟! كيف تعود ان ذهبت الى الابد ؟! لا . لم تمدد بعد ذلك . ماذا ؟ هل تقول انني بكيت كثيرا ؟ حقا ؟! شيء غريب . انا نفسي لم احس بهذا . معك حق . لا بد ان اجف عيني . اشكرك . يا الهي ! وانت ايضا تبكي . هذه دمة تجري على خدك . احتفظ اذن بالنديل لنفسك . انت ايضا فاتتك «توخي»؟ لم تمدد يدك في الوقت المناسب لتتشبث بشعرها ؟ لا تقل هذا . وماذا اقول انا اذن ؟ من يدري ؟ ربما كان في العمر بقية لزيارة ابي الهول . ستكون معي بالطبع . اعدك انني لن اتكلم كما تكلمت اليوم . ابدا ابدا . هل تسمح لي بطابع البريد ؟ صحيح انك تستغني عنه ؟ يا له من وجه عجيب . تصور انه يتسسم . هذا الصامت الابدئي يتسسم . لا يد انه يضحك علينا . عليك انت بالطبع اكثر . لن اتركك حتى يتسسم مثله . مهما حاولت . نعم . من فضلك . هكذا . .

عبد الغفار مكاوي

القاهرة

اقف مع هانز . وجهها لوجه . الصمت يكبلنا . الخجل يشلنا . لا كلمة ولا لمسة ولا دمة . ليس هناك شيء اشد خجلا من ان يخجل الانسان من اظهار عاطفته . اللفظ يشتد . الصراخ والبكاء من حولنا يحرك الصخر . القطار يصفر . عمال الرصيف يدفعون الشباب دفعا الى القطار . وانا هناك صخرة محرومة من نعمة الصخور . وفي لحظة شعرت بشفتي هانز على شفتي . لم تكن ذراعه تجد الوقت لتطوقني . لم تكن الا لثمة واحدة . سريعة وملهوفة وتكاد ان تموت من الخجل . هل تدري ماذا فعلت ؟؟ لم افعل شيئا على الاطلاق . وحين تحرك القطار وراح يشير الي بيديه رفعت ذراعي واخذت اشير . بلا حماسة ولجرد التقليد في اول الامر . ثم في حماسة اخذت تزداد حتى وجدتني اجري واجري وراء القطار . لكن الوقت فات و «توخي» اعطتني ظهرها ، وخصلاتها السوداء الناعمة ، افلنت الى الابد . لا اعلم ماذا حدث لي بعد ذلك . فلم اشعر بنفسي الا وانا ملقاة على ارض الرصيف ، وحارسان من حراس المحطة فوق رأسي يرشان الماء على وجهي ويقومان بالتنفس الصناعي لي . وحين فتحت عيني وجدتهما يتحسسان رأسي بحنان ويقول احدهما : هل تغتلب نفسك اذن ؟ امن يؤدي واجبه نحو الوطن يستحق منك كل هذا البكاء ؟ ونظرت حولي فوجدت المحطة خالية والرياح الباردة تبكي في ارجائها . شكرت الحارسين وقمت اتعثر في خجلي . كنت احس بان هذه هي اخر مرة ارى فيها هانز . لو انني لمست يده فحسب ؟ لو انني يادلته قبلة ؟! لكن لا بأس . ان الانسان يدفع ثمن لحظة ضعيفة بعشرين سنة . ربما تقول الم تكن امامك فرص اخرى ؟ هل انقرض الشباب من على وجه الارض ؟ بالطبع تاتي الفرص كثيرة . والشباب ايضا موجودون في كل مكان . لكن ماذا تفعل فيمن خاب امله في نفسه ؟ من الذي يهيمه ان يعيد اليك ثقتك بنفسك حين تفقدها مرة ؟ تخرجت من المعهد واشتغلت بالتدريس .

دار الاداب تقدم

الرواية العالمية الرائعة

زوربا

تأليف الكاتب اليوناني الكبير

نيكوس كازانتزاكيس

ترجمة جورج طرايشي

رواية مدهشة تنبض بالحياة وتمزج الاحداث المشوقة بفلسفة عميقة تشير التامل والمتعة . وقد اتبع للمواطنين العرب حديثا ان يروا هذه الرواية على الشاشة البيضاء تحت عنوان « زوربا اليوناني » .

صدر حديثا